

وحيدا دُونَ الْمَاءِ

صالح صبري المفرج

(عزيز)



نشریات

2023

إهداء.....

إلى أحفادٍ منجونٍ ليليٍ وجميلٍ بثينةٍ، وعترةُ عبلةٍ،
إلى من هامَ عشقاً فلم تغره شهوةٌ، فأحبَّ حباً
عذرياً، إليكم لأنني كما أنتم أحببتُ...

المقدمة....

كُل ما كتب هُنا حقيقة، كتبتها خارج بلادي في
منفائي الذي اخترته طوعاً مني، العراق بلدي
الثاني كان له نصيبٌ من الحب ومنزلةً داخل قلبي،
المنفى ربما يكون في بعض الأحيان وطناً..

قبل القصة...

الحب ليس كلمة تُقال، أو حتى فعل جيدٌ أو سيء،
الحب هو التعلق، انجذاب الأرواح فيما بينها،
ويتجلى الحب في ترجمة الأحاسيس والمشاعر إلى
اهتمام المحب لحبيبه..

مني أنا تعالوا وأسمعوا القصة، قصةٌ في فرحٍ
ومسرة، وفيها حزنٌ ومشقى، في البداية تاه قلبي،
وفرغ من حُبِ ندى، كان كابوساً ما قد جرى،
أربع سنواتٍ قدمتُ فيها الحب لشخصٍ لا يستحقُّ
الحب، فبعد أن تمزق قلبي عاد يتعافى رويداً
رويداً، حتى فرغ من أثرها، ولكن القلبُ الفارغُ لا
عاش إن بقي فارغاً، جاءت من حيثُ لا أعلم،
تراود القلبَ عن حُبٍ وعن عشقٍ وعن هيام،
نظراته ساحرة، وقلبي من هولٍ ما قد رأى، عاد
يدقُّ وينبضُ ويتدفقُ حباً، رأيتها فعرفتُ اسمها،
كُنْتُ خائفاً أن يعود السقمُ لي بعد التجربة، فكتبْتُ
لها...

دثريني
إني بلا ماوى
بلا مغزى

إني تائهٌ في الهوى

بلا معنى

دثريني

إني خائفٌ عتمة الحياة أرعبتني

ظلمةُ القدرِ أربكتني

حياةٌ تعيسةٌ دمرتني

دثريني

بنظرةٍ تنسيني مرَّ أيامي

و أشعلي قلبك و أدفئي حضنك

إني أر تجفُّ شتاءٌ هو عمري

و جليدٌ هي أيامي

دثريني

بابتسامةٍ تنسيني أحزاني

و أعيدي الأملَ الى قاموسي

و أنثري حُبك في شراييني و كياني

دعيني أحلمُ ك ماضي زَماني

دثريني

دُعي يداك تلامسُ وجهي

و شعرك الجميلُ يداعبُ وجهي

دثريني

و كوني ملاذي

كوني موطني وأماني

دثريني

يا جميلةً

قبل أن اشقى

ويضيعَ مني حاضري وزماني

وماضيٌّ ومكاني دَثْرِيْنِي دَثْرِيْنِي..

كُتِبْتُ لِكُنِّي بَقِيْتُ خَائِفًا، كَيْفَ أَخْبَرَهَا عَنْ هِيَامِي
بِهَا، وَكَيْفَ يَنْجُو قَلْبِي مِنْ مَوْتِ مَقْدَرٍ، إِنْ أَخْبَرْتَهَا
مَاذَا لَوْ كَانَتْ تَهَيِّمُ بِأَحَدٍ غَيْرِي، مَاذَا لَوْ عَانَدَنِي
الْقَدْرُ وَصَرْتُ أَضْحُوكةً لِبَقِيَةِ الْعَمْرِ، فَفَرَرْتُ أَنْ
أَكْتُبَ مَرَّةً أُخْرَى عَسَى أَنْ تَكُونَ الشِّيفْرَةَ مَفْهُومَةً..

والألفُ في اسمها
حبلُ الوثاقِ بيننا
واللامُ مِدادُ العُمُرِ
الذي يجمعُ سنواتنا
فأنا من لمعانِ عينيها
أقتبسُ قصائدي
ومن دِقَّةِ الحاجبِ
أنسجُ قصصي
ومن عذوبةِ الصوتِ
أرسمُ لوحتي
فلا يكفي بيتٌ من الشعرِ
ولا ملحمةٌ قصصيةٌ
ولا حتى لوحةٌ إبداعيةٌ

حتى ينطفئ شرار الفتنة
التي أشعلتها تلك
السمراء...

ضاقَ صدري من فرطِ ما عانيتُ، فكانت الدنيا
كلها، ترميني بسهامِ فتاكة، مصيبةٌ تجرُّ أخرى،
وصفعةٌ تليها صفة، لم أجد من مأوى إلا عينيها،
فكتبتُ لها..

دعيني أهربُ من نفسي إليك
فلا منفي يقبلني
مالي إلا حضنك
دثريني
أحبيني
دعيني أرتم فأنا بلا
وطن!...

بعد أن صارَ بيننا كلامٌ، وأخذنا نحادثُ بعضنا البعض، نتكلمُ عن كُلِّ شيءٍ، لكن لا نتكلمُ عن أنفسنا، عرفتُ حينها، أننا نحبُّ بعضنا البعض، فكتبُ..

عزيزتي (أ)
كِلانا يعلمُ ما يحتاجهُ الآخر
وَكِلانا يعلمُ تلكَ المشاعر
التي نخبئها داخلنا
كِلانا تتعبهُ الكبرياء
ولا يتنازل ويعترف بمشاعره
التي في قلبه
هذا الكلام
وتلكَ المحادثات النصية
لم تأت عن مصادفة
نحنُ يا عزيزتي
نصطادُ ونقتنصُ الفرص
حتى نحادثُ بعضنا
نتكلم عن كل شيء
لكننا لا نتكلم أبداً

عن بعضنا
لا يهم إنَّ لم أخبرك
في محادثاتي أحبك
أحبك يا ذاك الألم الذي يعتريني...

في ليلةٍ كنتُ أهذي في منامي، رأيتُ ألم، تدخل
عليّ، تخبرني أن أكتب، أن أكتب كلما اشتقت لها،
فحدثتني بكلماتٍ حسان، وألقت عليّ مسامعي
شيءٌ من السحر، ثم ما كان منها إلا أن وقفت
وبدأت تختفي رويداً رويداً كأنها سراب، فكتبتُ..

أجالسُ التبغَ
وأغنيةً حزينةً
وقصاصاتٍ ورق..
فأهربُ من الدنيا
فأهربُ منك
ويقتلني الأرق..
أمامي أراك
بشعرك الطويل
وعسلُ عينيكِ
فيه بحرٌ
وفي بحرٍ عينيكِ أغرق..

طيفٌ هو لا أدري
أم حقيقةٌ كاذبةٌ
أم سرابٌ أو خيال
لكنني بدأتُ أسرق..
تعالِ مني اقتربي
اهمسي في أذني
بسحرٍ يعيدني
إلى عالمي
لا تتركيني أجاهد
ويسيلُ مني العرق..
أحبك أنا
وأعشقُ نظراتك الباردة
إلا فأحبيبي
ولا تدعيني أحترق..
حُلْمٌ هو
لا باركَ الله بمن أيقظني
وجعلني من الفرح أنسرق...

لامني من لامني، على حُرُوفِ أكتبها، ما دهاك يا
عزيز لماذا تخلد هذه كما خلدت من سبقها، فقبحت
بين الناس ودنوت أسفل منزلة بين أقرانك
العاشقين، فكتبتُ لها حينها..

حينما أكتبك يا حُلوة
أصابعي لا تكتب
إنما قلبي هو الذي يكتبك!
فأنا مُذ عرفتُك
ما عدتُ أسيطرُ على قلبي
فنبضاته تصدحُ باسمك
ويَضُخُّ في عروقي
بدلاً من الدم
حروفِ اسمك
يا مليحتي شرايينُ جسدي

أمتلئت بكِ
وصرتُ أخافُ أن أنزف
حتى تبقين داخلي
حبيبتني
أنا دونك مُعذب
فك قيود التَّقل
الذي تتزنين بهِ
ودعينا نمضي يا عالمِ
القصصِ سوياً
أحبك يا ذاك الألم الذي يعتريني ...

ولأن الدنيا موحشة جداً، وظلامها باتَ يجولُ
ويصولُ هنا وهناك، قررتُ أن أكونَ رحالةً غير
مكترت بما قد يحصل، فغبتُ وتهتُ وأضاعني
النسيان..

باتَ قلبي مُتعباً
من كُثرِ الرحيلِ
مشتتٌ من كُثرِ الهجرِ
رحالةٌ أنا
لا أدري في أيِّ أرضٍ
أهبطُ
ولا في أيِّ قلبٍ
ولا في أيِّ حُضنٍ

أضع رأسي
وأثقالني
كُلُّ شيءٍ باتَ يرفضني..

فبدأتُ بتسطير حكايةٍ أشبه بالخيال، جنودها أوراقٌ
وتبعُ وليالي حالكة باردة، فكتبُ..

ألماستي
يكفيني أن أكتب
حتى أبوحَ لكِ بحُبِّي العذري
عندما أكتبكِ
كُلَّ حرفٍ
كُلَّ كلمةٍ
كُلَّ شطرٍ
كُلَّ قصيدةٍ
تقاسمني إياكِ
عندما أكتبكِ
أستهلكُ
الكثيرَ من دقائق قلبي

الكثيرَ من السجائر
الكثيرَ من الورق
الكثيرَ من الحبر
أستهلكَ الكثيرَ من نفسي
فأنا أكتبك وأسرُحُ
في خيالي
باحثاً عنك
بين أزهارِ التوليب
والزنبق والجوري
بين الأفلاكِ
بين الكواكب
بين الأقمارِ
يا قمري
أنا لا أملكُ إلا كلماتي
وحرُوفي ومفرداتي
فأنا أُحبك حُباً جمّاً
كحُبِّ والدتكِ إياكِ
أُحبكِ يا ذاكَ الألم... .

وحيثما سُئلتُ عن اسمها قلتُ لا يهم، فأنا عشقتها
دون اسم، لا يهم إن كان قلبي قد وقع في حبها،
وتعلقت روعي في روحها، فكتبْتُ..

لا داع أن أكتب اسمكِ
حتى أبرهن لكِ
كم أهواكِ
فالعشق لا يهتم للأسماءِ
يكفي أن يُلقى نظرةً
حتى تشتعل نيرانُ الهيامِ
فكيف به وأنتِ لا تفارقين باله
وفي الأحلام تأتيه ضاحكةً
تزينين الحلم وتذهبين
برأيكِ الواقع المدمر

الذي يعيشه أَسْتَحِقُّ التغير؟
يا زهرة النرجس
يا ريحانة عزيز
أتودين الذهابَ برحلةٍ
إلى جبينِ الشمسِ
أو إلى القمر
فوالله هي مجانية
ولا يهملُ الفقر
أحبيه كاتباً
وارحلي معه إلى أصقاع الدنيا
أحبيه كاتباً
وسافري معه إلى كُلى المجرات
وتعلقي على أطرافِ النجوم
ودعيه يمر جحكِ
على أهدابِ الزمان
دعيه يجوبُ بكِ
الأزمان ويرحلُ معكِ
من زمانٍ إلى زمانٍ
أحبيه يا فتاةً فإنه يحبكِ
واجعلي من حروفِ اسمكِ
الأربعة ملجئاً له...

فقررتُ أخيراً أن أرسل لها أخيراً رسالةً تعبر عن مافيّ من مشاعر وأحاسيس تجاهها..

أريدُ أن أسئلكِ سؤال

الذيذة أنتِ

كما هي القهوة؟

ألسنتِ أنتِ ابنةُ

القهوة

اعتقدِ يا فتاة

أنكِ كذلك

فأنا أحبُّ مرارَ القهوة

وكبرياؤك مُرٌّ لذيذ
فكلما زادت تعاستي
بسبب هذه المكابرة
كلما زادت سعادتني
أَتَعْلَمِينَ لِمَاذَا؟
لِأَنَّ الْحُبَّ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَرَارٌ
لَنْ يَكُونَ فِيهِ حَلَاوَةٌ
وَأَنْتِ خَلِيطٌ
مِنَ الْعَسَلِ الْحَلْوِ
وَالْقَهْوَةِ الْمَلِيئَةِ بِالْمَرَارِ
أَحْبَبِكِ يَا لَذِيذَةً.

وقبل أن تصلك الرسالة وقفتُ قبالتك أطلعُ وجهك
الجميل الممتلئ بالجمال الفتان، فكتبتُ ...

ربما تقولين لماذا
هذا الشاب المسكين
يطلعُ يناظرُ وجهي المستقيم
أريدُ أن أخبركِ إنني
لستُ سوى سجين

نظرَ في الأمدِ البعيدِ
فوجدَ امرأةً خلقتُ
كي تعذبَ قلبه الحزين
تزيدُ من حزنه
من يأسه
من قلبه المليء
بالحنين.
أريدُ أن أسأل هل خلقتِ
مثلنا من طين
أم خلقتِ من عجينة البن
من قهوة الهند
من قهوة اليمن
من قهوة الشرق
بربك ما تكوينُ هذا العجين.
نفذَ صبري يا امرأة
قولي ما هاتين
أهما عينين
أم زمردتان
أم لؤلؤتان سوداوان
وهذا الشعرُ الغجري الأسودُ
من أين أتى
وطولُ جسدك
وسحرُ مبسمك
وبياضُ الثلجِ الناصع
وعطرُ الهالِ الفواخُ منك
وَحَبُّ الفلفلِ الحارِ

وعِطْرُ الهال
بربكِ ما سرّ هذا التكوين.
أ أنتِ من نيجريا
أم من تنزانيا
لا لستِ أفريقيّة
ولستِ من بلاد الهند
أو حتى أمريكيّة
أنتِ متوسّطية
من بلادي
من أرضي
من بلادي السورية.
طلبٌ منك يا جميلة
أحبيني يا سمراء
ففي جاذبيتك
لم أجد بين النساء
أحبيني بسخاء
أحبيني يا سمراء
أحبيني يا سمراء...

ثم بعثتُ لها بعدما أحببتها أكثرَ فأكثرَ ، فتعلقَ قلبي
بها..

جميلتي
مِن أينَ جاءتِ
حلاوتكِ
أخبريني
ومِن أينَ جاءتِ
براءتكِ
أخبريني

وَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ
شِرَاسَتِكَ
أخبريني
ما سِرَّ هذا التناقضُ
بِكِ
حبيبتِي
أقسم أنكِ
لستِ مثَلنا
ولستِ مِنْ بلادنا
ولستِ مِنْ هذا الكوكبِ
أخبريني أبنَةَ السُّكَّرِ
أنتِ
أم أنكِ حفيدَةُ العسلِ
أو أنكِ وريثُ عرشِ
القهوة
لا يهْمُ يا فتاة فقط أريدُ
منكِ
أن تحبيني
فأنا بلا قلبِ
وأنتِ لي قلبُ
أحبيني يا فتاة
واجعلي من أهدابكِ
لي سكنٌ...

فأخبرتها أنها الأنثى الوحيدة التي أريدها،
الأخريات لا حاجة لي بهن، فهي قد أخذت قلبي
كله..

لا أريدُ النظر لغيرك
فأنتِ كُلُّ أنثى
في نظري
لا يهمني جمالُ الأخريات
لكنكِ كُلُّ الأخريات في نظري

أَتَعْلَمِينَ أَنِّي قَدْ أُصِبتُ بِالْعَمَى!
أَكَادُ أَرَاكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَلَا أَرَى سِوَاكَ
عَزِيزَتِي وَحَبِيبَتِي
أُرِيدُ مِنَ اللَّامِ الَّتِي فِي اسْمِكَ
أَنْ تَرِيبَ بَيْنَنَا
وَتَجْعَلَ مِنِّ حَيَاتِنَا سَعِيدَةً
أَنْ نَعِيشَ سَوِيًّا
بِلا مُقَدَّمَاتِ العِشْقِ البَالِيَةِ
وَبِلا مَعْتَقَدَاتِ الزَّوْاجِ العَتِيقَةِ
اجْعَلِي مِنِّ الأَلْفِ حَبلاً سَمِيكاً
وَدَعِينَا نَنْظُرَ لِلْغَدِ الأَجْمَلِ
وَدَعِينَا نَغْرُقَ فِي مَقَابِرِ الكُتُبِ
دَعِينَا نَكْتُبُ بَعْضاً البَعْضِ
بِأَقْلَامٍ مِنَ التَّارِيخِ
وَأُورَاقاً عَتِيقَةً
لَا أُرِيدُ أَثْرَثَرَ كَثِيراً
كَمَا أُخْبِرُكَ فِي مَحَادِثَاتِنَا
أُحِبُّكَ كَثِيراً...

وبدأتُ بعدها أرسل لها الكلمات..

يا سمراء يا بنتَ الصحراء
يا أصيلةً الملامح
يا سيدةَ الإغواء
يا حفيذةَ العرب القدماء
في جمالكِ لم ترَ عيني قط
ولم أجد في فتنتكِ بينَ النساءِ

وفي سبيلك أصبحتُ شرساً
وصرتُ فتى الهيجاء
بحثتُ عنك في كلِّ أرضٍ
ودعوتُ ربَّ السماء
أن يجمعني بكِ
بعد أن تركتني وحيداً في الظلام
ومن ينيرُ الليلةَ الظلماء
سواك أنتِ يا سمراء
قد مرت الأيام
والشهور
والسنوات
ولازلتُ عالقاً بينَ جوهرِ عينيكِ
إلى متى سأبقى في هذا العناء؟
وأنتِ محلقة في السماء
بين النجوم
بين الغيوم
ك طائرِ العنقاء
لكِ فتنةٌ
لكِ جاذبيةٌ
كأنك ملاك
أو حورية
كأنك لستِ منا
أو أنكِ لكِ السفينة تجوبُ الدنيا
وتبقى دقائِق في الميناء
فأنا لستُ سوى الميناء
يا سمراء

يا سيدة النساء
عودي حتى تراكِ عيني
ولا تكوني حمقاء
أريدُ نظرةً تحيني بعد مماتي
وعودي بعدها إلى الفضاء
لكن أريدُ أن أخبركِ
إنني أحببتكِ يا سمراء
أحببتكِ بغباء...

صدقيني نحنُ أسلافنا
نحنُ كما أسلافنا
نحنُ نسخةٌ عن أسلافنا
يا خلوتي

في عينيكِ حكايةٌ خرافية
أو ربما هي أسطورية
أنتِ تمتلكينِ جوهرتين
فيهما من بَذخِ الأميرات
ومن ثِقَلِ الملكاتِ ...
أخبريني أوريثُ عرشِ
أنتِ

أم أنكِ إحدى الحوريات
يا سلطنةَ الجميلات
كما جدتكِ أنتِ
أميرةُ الأميرات
فأنا أعلمُ أنّ شعركِ
طويلٌ حتى دونَ أن أراه
من وراءِ الحجاب
أعلمُ أنه طويلٌ
تتأرجحُ عليه الفراشاتُ ...
جمالكِ العجيب
أخذني في رحلةٍ
نحوَ السماء
إلى البحارِ الزرقاء
إلى أنهارِ القهوةِ
إليكِ يا سمراءِ ...
أحبكِ يا سمراءِ
تعالِ فقد أصابني الجفاء
أحبيني يا سمراءِ
أحبني يا ذاكَ الألمِ ...

عُربةٌ وهجرةٌ...

حينما ودعتك كنتُ أعلمُ أنني جبانٌ
أمامَ اللحظاتِ الحزينةِ
لكنني ورغمَ خوفي قد ودعتك
يا حبيبتي يا صديقتي يا أنيستي
الآنَ أجهزُ عتادَ السفرِ
وقد عزمْتُ على الإبحارِ
أريدُ الرحيلَ
أريدُ العيشَ بسكينةِ
لم أعد خائفاً من أيِّ فتنةِ
أغيبُ ربما الدهرَ كُلَّهُ
أو ربما هي سنةِ
لكنني لا أنسى أبداً عينيكِ الجميلةِ
الآنَ قد جهزتُ السفينةِ
لكنني بلا شراعِ أبحرُ
فسفينتي كئيبيةٌ كحالِ أيامي
لكنني بلا شراعِ أبحرُ
في رحلتي العجيبيةِ
هكذا حالُ المسافرِ يا ندى
قد ودعَ القريةَ والمدينةِ
وأزقتها التعيسةِ التي طالما أتكى عليها
الآنَ يا ندى قد عرفتُ أنكِ المدينةِ
التي خبأتني من سنينِ القحطِ العجافِ
الآنَ يا حلوتي أودعُ عينيكِ الجميلةِ
التي هي زادُ رحلتي إلى المجهولِ.

لي زهرةٌ في حمصٍ
وأنا عنها بعيد
من يسقي الزهرة
وأنا عنها بعيد؟
يا زهرتي إياك أن تذبلي
فأنا من الفؤادِ قريب
حتى ولو أبعدتنا المسافات
فأنا من هنا
من أرضِ العراقِ
أرسلُ لكِ القبلاتِ
السلاماتِ
التحياتِ
الأشواقِ
والرسائلَ التعيساتِ
أرسلُ لكِ أيضاً قلبي
فأنا لا أملكُ في دُنْيَايَ
إلا قلبي والكلماتِ
أرسلها مع الطيورِ المسافراتِ
أو في الأفلاكِ الجارياتِ
في الفراتِ
يا حُلوتي
فأنا في غُربتي
أعيشُ في الشتاتِ
بعيدٌ عنكِ يا موطني
وتعبتُ في جسدي
الرياحُ العابثاتِ

يا ألماستي
أنا على حُبكِ
ثابتٌ كُلَّ الثباتِ
حتى ولو ابتعدتُ
وهاجرتُ
وسافرتُ
وضعتُ
وتهتُ في أرجاء الدنيا
ستبقيينَ في قلبي
إلى يومِ المماتِ
أُحِبُّكِ يا ذاكِ الألمِ...

وها قد عشقتُ العراقَ
ودها ليزاً بينَ أزقتها
عرفت كم كان قلبي مشتاقاً...
أعبرُ فيها الطرقاتِ مُتعباً
من ثقلِ ملكوتِ العشقِ
الذي يعتريني..
كيف أراكِ في وجوهِ الناسِ
كيف أراكِ في كلِّ مكانٍ
كيف يمكن لوجهك أن يسكنني...
قد أتعبني البعدُ عنكِ
وفيَّ شوقٌ يحرقني
متى أرى وجهك المليح...
استثناءً أنتِ
موضوعٌ وقرارٌ
ونصفُ قرار...
يا أنثى عشقتها
فكانت سقمي
وكانت ودوائي...
يا قطعةً مني
يا بعضَ بعضي
أحبك أكثرَ مما تتصورين...
أحبك...

ودعتك في حمص أتذكرين؟
وودعتُ حمصاً أيضاً
وأزقةً كانت علينا تشهدُ
ودعتُ من أحببتُ
فصارَ قلبي ممزقاً
فكيف من يودعُ وطنه
وكيف أصبر؟
على الفراق
من مثلي يشتاقُ العناق
وحضناً يرتمي بهِ
يحرقُ بهِ الأشواق
فأنا ممتلئٌ بالخيبات
ويجهزُ عليَّ الاختناق
كُنَّا مُنذُ زمنٍ على وفاق
والآنَ ماذا؟
لا يريدُ أحدنا الآخر
لكننا نكذبُ يا حُلوتي
كلانا في هذه المسألةِ
بطلٌ في النِّفاق
كلانا يعلمُ حقيقةَ الأمرِ
وكلانا على البدايةِ حاضر
تعالِ نُعيدُ الانطلاق
نُعيدُ قِصتنا

وَفَاكِ هَذَا الْوِثَاقِ
الَّذِي تُسَمِينُهُ رِزَانَةَ
فَأَنَا عَرَاْفٌ بِالْقُلُوبِ
فَلَا تَكُونِي لِيَّ
الطُّفْلَةَ الْعَاقِ
فَأَنَا أَحْبَبُكَ حَتَّى
وَإِنْ أَظْهَرْتُ الْخِلَافَ
أَحْبَبُكَ حَدَّ الْاِخْتِنَاقِ
لَكِنْ أَيْنَ أَنَا؟
وَأَيْنَ أَنْتِ؟
أَنْتِ فِي حِمَصِ
مَوْطِنِي
وَأَنَا فِي الْعِرَاقِ
وَطِنِي
لَكِنْ هَذِهِ مَسَافَاتٌ عَلَى الْخِرَائِطِ
وَقَلْبِي لَا يَحْتَاجُ تَأْشِيرَةَ
حَتَّى يَصِلَ لَكَ
أَحْبَبُكَ جَدًّا..

يا روحَ رُوحِي
فُكِي ضَفِيرَتَكَ
وانسجِي من شعركِ
الطويلِ لي معطفاً
لعلي أحظى بقليلِ مِنْكَ
قليلٌ مِنْكَ دَفِيٌّ لي.
لا وقتَ لغروركِ
الآنَ

البردُ مميتٌ
وعُمرِي شتاءٌ
وأنا وحيدٌ
فهل تشائينَ
أنا أموتَ شهيداً
فداءً لعينيكِ!
من ماتَ بالبردِ
ماتَ شهيداً
فكيفَ من ماتَ
بالبردِ وحيداً...

وقلبي فيه صراعٌ
ما بين الألم والشوقِ
شقاءً يلازمني
أه لو تعلمين ما السببُ الشقاء...

جالسيني مساءً في ليلةٍ صيفية
تحت أوراق العنبِ
وتحت أزهار الغاردينيا الزكية
نحتسي كوباً من الشاي
ونحللُ لغزَ صباكِ والأحجية
جمالُ فتنانٍ وشعرٌ طويل
رموشٌ عجيبةٌ وعيونٌ خرافية
أنتِ الجميلة الأنيقة المَلَكَة والهورية
أنتِ جزيرةُ الفتنِ
وقلعةُ الحُبِ الأبدية
أنتِ بقلبي الوحيدة والأنتى الأزلية
لكِ في قلبي حُباً ولكِ الأحقية
فيه..

التائه من خمرة الدنيا يثملُ
وأن من ثغرك اللذيذ أسكرُ
سلسبيلٌ هو طعمُ شفّتكِ
دعيني أتذوقُ كرزاً من خديكِ
أتركيني أبحرُ في ماءِ عينيكِ...

صوتُ موسيقى تُعزف ليلاً
خلخالٌ يتراقصُ في المدى
أنا وأنتِ تحت ظلالِ المجرة
لا نسمعُ همساً يعكّرُ صفونا
لا نسمعُ إلا لكلماتنا صدى...

رغم الفروقات
واختلافِ العادات
وبعد المسافات
إلا أن الحب يبقى قضية
ورغم أنفِ القبيلة

وسعيّاً للتحرر من المجتمعات البالية
والفرق بين القرية والمدينة
إلا أن الحب غالب
والسلام على من أحب...

اقتربي أكثر فأكثر
وعانقي الجرح
واطبعي قبلاً على جسدي
ريق هو عسل ودواء...
اقتربي أكثر فأكثر
دعيني أتذوق حلاوة
مرار طعم الإناث دونك
أنت السكر يا حورية النساء...
اقتربي أكثر فأكثر
دخان وحرارة ودفء
ضوء خافت
وليلة مترفة هذا المساء...
اقتربي أكثر فأكثر
عطر يفوح
وزهرة تتأرجح
قمران أنت هنا والآخر في السماء...

مرايا عديدة مجمعة قُبالي
وتتعكسُ فيها صورةُ أنتى
منحوتةُ الأطرافِ
بثغرٍ أشبهَ بالمخدرِ
بجدائلٍ قمحيةٍ صفراءِ
هي أنتِ تأتينَ كُلَّ ليلةٍ
تبحثينَ عن سببِ
شقاؤكِ ...

لا تبحثي فأنا دنوتُ منكِ
وبعثتُ فيكِ رُوحِي
حتى تجتاحَ جسدكِ
الحياة

بعد سنينٍ من المماتِ ..
ك حريةِ العبيدِ
ك أحلامِ الفقراءِ
ألقيتُ فيكِ بذرةَ حُبِ
ثم فررتُ إلى دنيا
أبحثُ عن بستانِ
ألقي فيه بذوري ...

ما كنتُ أحلمُ بغيمةٍ
تغيثني بالمطر
ولا بزهرةٍ
تخنقني بالعطر
كيفَ قتلَ النرجسُ
قلبي بنظرةٍ
وكيفَ أغتالَ
البدرُ القمر!!

يا روح
لا تقتلي الشكَّ بالقين
وتهرولين
وتركضين
بينَ أزقةِ عُمرِي
نصفُ عارية
تبحثين
عما وراءَ الجسدِ من غايات
فأنا لستُ مجرماً
حتى أتذوق شيئاً محرماً
فقد أقسمتُ أن لا يمس
جسدي امرأةً
وتصبحَ جهنمُ دنيا..

أسرق نفسي مني إليك
عني أقيم مساءً تحتَ نجمك
كيفَ لعينيك أن تصبحَ نبيذاً
نبيذاً حلو المذاق
سكره حلال
ومضيقه العقل فيه حلال
كيف أفسر...
فيك حلاوة
تجعلني أنتشي
إن شاء قدي
وجمعني بك
تحتَ
جُرحِ الظلام..
بليدٍ هو الوقتُ
يسلبني منك بعجلةٍ
ثم إن كانَ بيننا فراق
يجثمُ على صدري

كأنه شيطان..
أخبريني كيف
تسترقين نفسك
وتجتازين البحار
متسللةً بين شقوق
النوافذ
تمسدين شعري الكث
هاربةً إلى عالمك..
تعيدني الذكرى
إلى تلوحية
وعبرات تسيلُ
على مجرى الزمرد..
كان يوماً كدّاً
فيه تشقق قلبي
ما بيني وبينك
لكناك عظمية
فأنت أول انتصار
وأول الخسارات..
أجعلني اليقين نصب عينيك
أنني عائدٌ لأجلك
فأنا ك النخل
أطلُّ في بستانك بعد الاحتراق..

كأننا في عُرلة
أنا وأنتِ والطبيعة
نتواري إلى ظلِّ أُمي
خشيةً أن ينقطعَ
وحيناً..

نديمانِ لا كأسَ ثالثنا
من خمرةِ العينانِ
نُسرفُ في الشربِ
دعينا لا نغادرُ
مُسْتَقَرَّنا..

في عُرلةٍ
نحلمُ بواقعِ الطف
عكسَ الذي
يعترينا
واقِعٌ لا نهونُ فيه..

إلا فدعيني
أنشدُ بكِ
شِعراً
ومن مثلكِ
كيفَ للكلماتِ
أن تحتملَ
لطفَ زهرة!

كانَ قلبي بستان
ونثرتكِ فيه
فأنبتَ زهرةً
بديعةَ الألوان..
يا عُمرِيَّ السليب
دعينا نسرقُ الوقتَ
ونبقى تحتَ جناحيّ طائرٍ
نختبئُ من هوسِ الناسِ
بنهبِ النظراتِ إلينا
وكاننا أولُ من يعشقُ في الأكوان..
يا عَجريَّةَ العيونِ
ابتسمي
فأنا من ابتسامتكِ قلبي ينبضُ
وأعيشُ بسلام..
دعيني أقبلُ خديكِ

لعلّ جسدي يُشفى
فأنا سقيمٌ
ودوائي هذانِ
الخدان..
أخبريني هل يا ترى
خُلقتِ من طينٍ
أم كانَ تكوينكِ
من الزمردِ
والمرجان...

في عالمكِ حكاية
وقِصصٌ منسية
وحرُوفٌ كُتبت
بماءِ عينيكِ
أتبكين؟
وما جدوى البكاء
حينما يمضي العُمر
أنبكي بسببِ ماضٍ
وننسى أن نعيشَ الحاضر
يا روحُ ما حدثَ قد حدث
ومضى من الزمن الكثير
لماذا نضعُ على عاتقنا
ذكرى قبيحة

وحزنٌ دفينٌ
نخرجهُ في لحظةِ فرح
ونتناسى ما قُدمَ لنا
من حنيةٍ..

روائحُ من غابٍ
عطرٌ باقٍ من ذكري عتيقة
وصورةٌ هاربةٌ من زمانٍ ولى
ظننتُ نفسي كـ مجنونٍ ليلي
أشتاقُ فأكتبُ
أحنُ فأنشُدُ
أدوبُ عشقاً فأتعلقُ على أستارِ الكعبة
ثم ماذا؟
ثم أتألمُ
ثم أكتبُ
ثم أكتبُ
ثم أعودُ سيرتي الأولى...

في دماغي أشياء
لا أعلم ما هي
أصداءٌ لأصوات
ملامح أشخاص
صورٌ عتيقة
ضحكات ممزوجة ببكاء
صورةٌ لنفسي
شماعةٌ مُعلقٌ عليها
بعضٌ من الأحلام
صفحةٌ كتابٌ مدونٌ عليها
تفاصيلٌ مملةٌ عني
ألوانٌ ولوحات

رسومات طفلة
صورة لي أحمل طفلة
بعض الإناث
أصدقاء راحلون
غرفة مظلمة
صوت صراخ
دماء
يد ترقص في الهواء
رحلة في الصحراء
جمص موجودة
القرية هنالك أيضاً
طائرة
غيوم في السماء
مرحباً هنا العراق!
بكاء هنا وهناك
ربما جُننت فعلاً...

تعالِ هُنا
قاسمِني كُلَّ أحرانِكِ
كُلَّ تعاستِكِ
قاسمِني هذا
الثَّقَلُ الَّذِي تحمِلِينَهُ
فظهركِ لا يقوى
على حملِ هذا
تعالِ هُنا
أنتِ رقيقَةٌ
لا تليقُ بِكِ هذهِ الخشونةُ
قاسمِني كُلَّ ما يزُعجُكِ

أنا هنا فقط لأجلك
هذه ليست خصوصيتك
هذه خصوصيتنا نحن سوياً
أحبك يا ذاك الألم...

تعال قبل غروب الشمس
أو تعال بعد الشروق
لا يعني لي الموعد شيئاً
المهم لقياك ...
تعال في أي يوم
في أي ساعة أو دقيقة
تعال يا بذر الدجى
تعال قبل أن ينفذ صبري
أو يضيق صدري ...

لِيَالِي الْعُمْرِ دَاكِنَةً
وَ الظَّلَامُ دَامِسٌ
وَ الْقَلْبُ يَنْفَطِرُ عَلَى غِيَابِكَ
تَعَالِ يَا ضِيَائِي اقْتَرَبَ أَكْثَرُ . . .
بَعْدُ الَّذِي كَانَ
مَا عَسَايَ أَفْعَلُ وَأَنَا مُشْتَاقٌ ؟
لَا الْحُبُّ يَنْتَهِي وَلَا الشَّوْقُ مَاتَ
وَ الْقَلْبُ يَنْبِضُ بِاسْمِكَ
تَعَالِ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ بِنَا الْعُمْرُ
تَعَالَى يَا شَمْعَةَ الْعُمْرِ . . .

تعالِ يا سكرَ أيامي
لازلتُ هنا أنتظرِكِ
تعالِ يا مرارَ حياتي
لازلتُ هنا أنتظرِكِ
على ضفافِ النهرِ العجوزِ
و على شاطئِ البحرِ المطعونِ
في غاباتِ اليأسِ
و دهاليزِ المدنِ المهجورةِ

فوق رُكَّامِ الأبنية
لازلتُ هنا أنتظرِكِ
أعلمُ أن الوقتَ متأخرَ على مجيئِكِ
ولكنَ للتأخيرِ فَوَائِدَ وَعِبْرٌ ودرُوس
لا يهمني الموعدُ المُهمُّ أن تأتي
خُذِي ما شئتِ مِنَ الوقتِ
لكن تعالِ لأنني لازلتُ أنتظرِكِ...
أنتظرِكِ في نومي مناماً
وفي يقظتي خيال
وفي جلساتي خيرَ جليس
وفي سفري خيرَ رفيق
وفي روايتي القصةُ أنتِ
وفي حكايتي البطلةُ أنتِ
أنتظرِكِ يا عزيزتي
يا ابنةَ المطرِ
أنتظرِكِ على حافةِ الكوكبِ
وعلى أطرافِ القمرِ
وبينَ تلالِ الأقبانِ
تعالِ لازلتُ أنتظرِكِ...

يا أيها السائرُ في عمري
يا أيها المبعوثُ في نفسي
من أنا ومن أنتَ
ومن ذا الذي ذلكَ على دربي
تقولُ أن الودَ بيننا
وأن الحبَ بيننا
تقولُ أنتَ لي

من أنا يا هذا
ومن أنتَ
من أين جئتَ تحادثني
من سمحَ لك أن تقتحمَ قلبي
من أينَ جئتَ أخبرني
تلعثمتَ أحرفي
في أولِ لقاءٍ
عند أولِ كلمةٍ قلتها
أحبك يا هذا
من أنا
من أنا
أتعرفُ من أنا ، أنا لا أحد
أنا اللاشيء ، أنا المتناقض
أنا لستُ سوى وهمٍ
فوضويّ
منعزل
مكتئب
مجردٌ من الحواس
أنا العاشقُ المتيم بحبٍ ليس كالحب
كانت إجابتي منطقية
أحبك كثيراً يا جميلة
يا حلوتي
يا ملكتي
يا حوريّة
أتعرفين من أنا
أنا مجنونُ ألم

حبيبُ فتاةٍ اسمها أُمُّ
أنا عزيزٌ ولستُ عزيز
أُحِبُّكِ أُمُّ

نهايةٌ وخيانةٌ...

تذكرتكِ والسماءِ ماطرةً
وغيثُ الرحمنِ يهطلُ
لا أدري لا أدري
ما تفيدُ الذكرى
وما تنفعُ
بشائرُ الخيرِ في
الأرجاءِ تنسكبُ
وأنتِ في خيالي
وفي ذاكرتي
تجولينَ وتتسكعينَ
كأنكِ في مكانكِ
أو أنّ المكانَ مكانكِ
لا أدري لا أدري
لما جنّتِ في بالي
فالمطرُ دليلُ الخيرِ
وأنتِ رمزُ الشرِّ
لا أدري لا أدري
لماذا تذكرتكِ
وهل للخيانة من شفيح
وهل من يغدر يأمن
بعدما باع
لا أدري لا أدري
هل أحب المطرَ
أم أكرهه بسببكِ
كنتِ ابنةَ المطرِ

والآن عادَ المطر
بلا ابنته!

لا أريدكِ هل تسمعين؟
كُلّ رسائلي أضحت بلا معنى

وأحرفي بلا مغزى
حتى قلبي لم يعن لك شيئاً.
كُنت أحلامي
وماتت أحلامي
يا حاضري
يا مستقبلي
يا تاريخي
يا مكاني
وضاع المكانُ
وتوقف الزمان.
ألم من ألم؟

من أنا
من أنتِ
من نحن
هل تذكرين
ما كان
ومن أكون؟
الحب
أصبح كذبة
وأنتِ كاذبة.
كأننا في مسرحية هزلية
أنتِ مُمَثِّلة في الحب
كاذبة في الحب
يا فانتة

اقصدُ يا خائنة
لا أريدكِ
هل تسمعين؟
يا انعكاسي في مرآتي
لقد كسرتُ مرآتي
كما كسرتِ قلبي
لا أريدكِ
هل تسمعين؟

في ذكراكِ
كانُ واجبٌ عليَّ أن أُخلدكِ
لكنكِ حمقاء

فقد نزلتِ في قلبي
منزلةً ليلي العامرية
في قلبٍ مجنونها...

كانَ خِبثاً

كانَ مَكراً

كانَ خِداً

ربما غباء

فقد توجتِكِ

ملكةً في قلبي

لكنَ المُلْكُ لا يليقُ بخائِنِ

وقد نزعَتكِ

من قلبي

وخلعتكِ

من عرشي...

ألم هي ابنةُ الشمسِ

هكذا ظننتُ

لكنها ابنةُ الخُبثِ

دعيني أخبركِ

أنني عزمتُ أن

أشردكِ

من زقاقِ لآخر

فأنا كما حمدتِكِ

الآن حقُّ عليَّ
أن ألعنكِ ...

اهجريني بلا وداع
ولا تقربيني بعد الآن
احمليني في دُنْيَاكِ كابوساً
تذكري أن هنا مقبرةٌ
لا يدفنُ فيها خائنٌ ...

تمت بحمدِ الله...